باب التربية والتعليم

مضار الغلظة في التربية

تكلمنا في منار سابق عن اللين والقسوة في التربية ووعدنا بتفصيل مضار التربية فنقول ان من يربي ولده او تلميذه بالغلظة والخشونة ويعامله بالقسوة والاهانة يطبع في نفسه اخلاقا فاسدة وسجايا رديئة تكون سبب شقائه في أحواله وعلة خذلانه في أعماله فمن تلك السجايا (١) بغض الوالد المربي ونحو والتربية الصحيحة النافعة لا تقوم الا على أساس المحبة وبغض الولد لوالده أو معلمه يحمله على عدم تلقي شيء من نصائحه بالقبول في نفسه لانه يعد تلك النصائح اهانة وتعذيباً وتحكماً سببه القوة والاستعلاء ومن لا يحب والده ومعلمه لا يحب وطنه وأمته بالضرورة (٢) الظلم عند القدرة والتحكم بالغير عند الامكان والانتقام لمجرد شفاء الغيظ واجابة داعي الغضب (٣) الكذب فان من يتوقع الانتقام على عمل أو قول يعتقد انه لا يرضي مربيه يدفع الى انكاره (٤) المكر والحيل (٥) الذلة والمهانة (٦) الغلظة والقسوة وهذه الصفات في الظاهر كالمتناقضة ولكن آثارها تشاهد فيمن يتربون هذه التربية السوأى فان أحدهم يقسو أشد القسوة على من دونه ويذل أقبح الذل لمن فوقه فهو بعيد عن الفضيلة وكرامة النفس في كل حال وان أمة هذا شأن أفرادها لا يمكن ان تسود على غيرها أو تستقل في نفسها لان كرامة النفس وفضيلتها هما روح السيادة والاستقلال (٧) الرضى بالضيم وهضم الحقوق مهما كان من قوي أو حاكم ظالم (٨) عدم الرضى بالحق طوعا حيث يهضم حقوق الآخرين اذا قدر كما يمتنع لهم اذا هضموا حقوقه . وهاتان الرذيلتان مرتبطتان بما تقدم ومن آثارهما وهكذا ترتبط الرذائل بعضها ببعض فتكون سلسلة واحدة (٩) الخيانة (١٠) الحقد (١١) الحسد (١٢) الوقاحة والتهتك فان من يعامل بالاهانة قولا وفعلا يذهب حياؤه بالضرورة ويزول انفعاله مما يذم ويعاب اللائمة لاعتياده عليه من أول النشأة وكفاك بفقد الحياء بلاء فانه ينبوع الفضائل والكمال والزاجر النفسي عن سيئات الاعمال لاسيما اذا كان ميزان الحسن والقبح هو الشرع وقد

جاء في الحديث الشريف « لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » (١٣) وطوبة الهمة لان علو الهمة لايكون الا لاصحاب النفوس الشريفة العزيزة . وان علو الهمم ركن من اركان تقدم الامم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « علو الهمة من الايمان » (١٤) ضعف الارادة وخمود العزيمة وأي جوهر لاينسحق بشدة الضغط ؟ وأي نار لاتطفئ بفيضان طوفان الجور والاهانة ؟ وهل ينجح فرد من الافراد تجرف ارادته وعزيمته سيول الجور والاستبداد ؟ كلا (١٥) فقد الاستقلال الشخصي لان الذين يربون أولادهم بالشدة والعنف لايدعون لهم مجالا للاستقلال في شؤونهم والاعتماد في مصالحهم على أنفسهم فيكون أحدهم كلا على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير فهل يستوي هو ومن يربى على مبدء الاستقلال والاعتماد على سعيه في كل الاعمال ؟ كلا « وان ليس للانسان الا ماسعى » (١٦) فقد الاستقلال الفكري والعقلي وسببه ان من شنشنة هؤلاء القساة الذين يربون الاولاد بالشدة والفظاظة انهم لايقبلون لمن يربونه رأياً ولايستحسنون له فكراً وان كان حسناً في نفسه ولايجعلون لهم حقاً في ابداء رأي او اقتراح أمر أو المشاركة في مصلحة وان ظهر منهم شيء من هذا قوبلوا بالتفنيد واللوم الشديد فتخمد نار لوذعيتهم وينشؤن على التقليد الاعمى فاذا أخذوا بعد الكبر في الاشتغال بالعلوم او الاعمال التي يحتاج فيها الى الفكر والروية لاينجحون أبداً لاسيما اذا كان تعليمهم على نسق تربيتهم كما هو الغالب في بلادنا أو في الشرق كله وذلك لان من يرى قصاري نجاحه ان يعلم ماقيل . من غير تمييز ولاتزييل . لايهتدي الى تحرير الدلائل . ولايقف على حقائق المسائل . لان الاقوال في كل شيء متعارضه . والاراء في كل مشكلة متناقضه . فمن لايجتهد يخيب « ولكل مجتهد نصيب » (١٧) فقد الحرية في القول والعمل وهو الذي يحمل على ماذكرنا اولا من الكذب والمكر والخيانة وعندي ان التربية الصحيحة الكاملة تتوقف على معرفته جميع شؤون المربي النفسية والعملية ولايمكن ان يقف المربي على هذا الا بالتحبب الى المربى واعطائه الحرية التامة في ابداء كل مايعن له واطلاع مربيه عليه ولاتنجلي هذه المسئلة الا بشرح طويل لاتسعه هذه النبذة ويكفينا ان نقول اذا علم الوالد أو المعلم ان الذي يربيه قد عرض له الرئيس (اول الحب) وخاف عليه الشغف والولوع في العشق ولم يقدر على ان يحول بينه وبين الغرام من حيث لايشعر فينبغي له ان يجذبه بزمام اللطف ويسلس له حتى يكاشفه بما في نفسه ويستشيره في كل أمره وبذلك يتسنى له ان يقيه مصارع الهوى ويقف به في الحب عند حدود الشرف (١٨) الدناءة (١٩) اللؤم (٢٠) كفر النعمة

هذا اقبح واضر مايتولد من الغلظة والقسوة في التربية من الرذائل ولو استملينا الفكر لاملى علينا غير ذلك لاسيما اذا لاحظنا مايحتف بالغلظة من هجر القول وسيئ الفعل مما يهون على الولدان القذع بالفاظ الفحش وبذاءة اللسان ولو قلت ان من سيئات هذه التربية الاندفاع الى ارتكاب الجنايات الكبرى كالسرقه والغصب والضرب بل والقتل بنحو سم او غيره لكنت غير مبالغ فعلى من يهمهم تربية اولادهم ان يمعنوا النظر فيما ذكرنا ، وعسى ان يلتفت اليه الذين يتكلمون في ضعف الامة ويبحثون عن أسباب قوتها فيوافقون على ان سوء التربية أصل كل فساد ، وباصلاحها يتم كل رشاد ، ونسأل الله تعالى ان يهبنا جميعاً التوفيق والسداد

الخاتمة

(تأييد عالم وتفنيد واهم)

ليس في قوة البشر ان يحيط الرجل بجميع العلوم أو يتقن جميع الاعمال ويتوقف نجاح الامم وتقدمها في العلوم والفنون والصنائع وسائر الشؤون العامة على اتباع قاعدة التوزيع واناطة كل علم وكل نوع من العمل بطائفة من الناس ينفردون بالعناية به حتى يبلغوا درجة التبريز فيه بحيث تكون الامة في مجموعها نابغة في كل شيء وقد اهتدت الى هذه القاعدة الامم المتمدنة وعملت بها فانتهت في كل علم وعمل الى الغايات التي نسمع ونشاهد . وقد اتسعت عندهم دوائر المعارف حتى صار ينفرد للفرع الواحد من العلم طوائف مخصوصة يحررونه ويفردونه بالتأليف . ولا يزال قومنا في غفلة من هذا ولذلك لا يبرع عندنا احد في شيء من الاشياء . ومن الخذلان ان تضل الامة عن طرق رشادها . ومناهج اسعادها ولكن ماذا نقول في قوم يعيبون الهدى والرشاد . ويذمون مناهج التوفيق والسداد . ويقدحون في عرض من يبرز في علم أو فن فيظهر غوامضه ويبدي خوافيه محتجين بأن الامة احوج الى غير المسائل التي حررها منها اليها وكأني بهؤلاء النوكى يطعنون بمن يتكلم في دقائق المساحة وتقويم البلدان لان البلاد المصرية احوج الى فن الزراعة منها الى هذين الفنين